رسالة من مجتمع الكبار

تتشرّف «الصحة والانسان» ان تنشر مداخلة قيّمة تليق بكبارنا قدمتها الروائية الكبيرة السيدة إملي نصرالله خلال لقاء شاركت فيه.

قبل البدء بكلمتي، أودّ أن اشكر الهيئة المِعدّة لهذا اللقاء، لدعوتي كي اكون معها في مؤتمر علمي يُثير الاهتمام بموضوع الكبار في مجتمعنا، ولإعطائي فرصة كي أدلي بملاحظاتي. كما أرجو أن تكون هذه المناسبة خطوة أولى لتكريم كبارنا، لا بالكلام وحده، بل بدراسات واسعة ومعمّقة لأحوالهم وللمشاكل الإنسانية التي تواجههم على شتى الصُّعُد، وإعطائهم حقاً حصّلوه ببذل السنين.

❖ ❖ ❖

عندما قرأت عنوان مداخلتي الوارد في برنامج هذا اللقاء وهو «رسالة من مجتمع الكبار» أي المستّين، كان ردّ فعلي العفوي ولكنني لستُ من ذلك المجتمع... ولم أبلغ تلك المرحلة من العمر...

❖ ❖ ❖

في اللاوعي، ينمو هذا الرفض، إذْ تربينا على عدم قبول التقدُّم في السن، «الخَتيَرة» تسميها العامة، أي العجز. ومهما تنوّعت، تبقى تسمياتٍ غير مقبولة...

❖ ❖ ❖

ولكننا نتقدّم بإرادة منا، أو من دون إرادة، نتقدّم، ونبلغ تلك العَتبات ونتخطَّاها، وحتى بعدما نصبح في الداخل، نظل نكابر، ولا نريد أن نعترف. فما هو سرَ الهروب إلى الوراء، لا إلى الأمام؟ تراه الخوف من ضعف، او عجز يجعلنا نتخلّف عن القيام بما تعوّدنا أداءه في أوج الفتوّة والشباب؟

تراه القلق من مجهولاً ينتظرنا عند ذلك المنقلب من العمر؟

أم انه هلعٌ يُصيبنا مع انحسار رونق الصبا والجمال؟

نعم، إنه هذا كلُّه، وأكثر، وأكثرا!...

❖ ❖ ❖

لا أزال اذكر عبارةً قرأتها للكاتبة الفرنسية «سيمون دي بوفوار»، وقد كتبت كثيراً عن الشيخوخة، ففيما هي تعبر الطريق، رنَّت في أذنيها ملاحظة أطلقها فتى يلفت انتباه رفاقه إليها: انظروا تلك المرأة العجوز... واعتبرتها الكاتبة إهانة كبرى تُوجّه إليها.

❖ ❖ ❖

لكن الكبار في مجتمعاتنا التقليدية ليسوا من رأي السيدة الكاتبة، إذ كانوا يكبرون، بنعمة السنين، محترمين، مكرّمين، ويتقدمون القوم في كل المناسبات «واللي ما عندو كبير يشتريلو كبير» ولا يُقطعُ خيط القطن من دون رأيهم.

ولمن يَذْكر، كان للجدود، في تلك المجتمعات التقليدية، مكان الصدارة في العائلة، ولا تُبَتّ الأمور خارجَ مشورتهم، وهذا ما يجعلهم في الداخل. وهم مَنْ كان يتولى رعاية الأحفاد في غياب والديهم، وبذلك يُسدون للعائلة وللمجتمع خدمة مجّانية في حساب المال، إلا أنها أغلى من الغالي، في الحساب الإنساني: التربوي والحضاري.

واشهد، ولوجه الحق، بأنني جنيت من ثمار تلك التربية، في حضنها الدافىء، جدتي، ذخرا، لا يزال يتفاعل

في، ويتنامى، ويُسهّل لي تعاملي لا مع جيل أولادي، وحسب، بل ومع الحفداء، فيحفظ حلقات التواصل المعافى في النموّ الإنساني،

وحين توجّهتُ إلى الكتابة للأطفال والفتيان، في بعض ما كتبت، كنت اغرف من بئرها الثرية، سيدة القص، وناقلة التراث،

وبرغم كونها أميّة قراءةً وكتابة، فقد علمتني جدّتي «روجينا» ما لم تقو، فيما بعد، المدرسة او الجامعة، على غرسه في كياني.

وقد طالعتني صورتُها ذات رحلة في وجوه كبار «الإنويت» في القطب الشمالي، بكندا، حين دُعيتُ مع بعض كُتّاب العالم إلى زيارة تلك المنطقة، جزيرة«بافين» والاستماع إلى المسنّين، بالأخصّ المسنات، حافظات التراث والأساطير، وكان الأدب عندهم لا يزال يُنقل شفاها، ويبقى، مع العلوم والتقاليد، مكنوزاً في صدور الكبار.

❖ ❖ ❖

ان هذه الصورة، وكانت لا تزال حاضرة في مجتمعاتنا التقليدية، خصوصاً في المناطق الريفية، بدأت تهتزّ وتضيع، وربما كان ذلك، ما دعا كاتب التراث، بامتياز، «سلام الراسي»، لينهض إلى لملمة ذلك التراث لئلا يضيعَ وقبل أن يضيع، ودوّنه في كتبه القيّمة.

وإذا كانت بقايا من تلك الصور التقليدية لا تزال حاضرة في بعض مُجتمعاتنا الريفية، إلا أنها تبدّلتْ وتغيّرتْ في المدينة، وبتأثير هجرة الشباب إليها وإلى الخارج: «ما بقاش في بالضيعة غير الختْيارية» تقول لي الصديقة في «جورة السنديان» المكان الذي أوحى إليّ بكتابة معظم قصصي ورواياتي. ولا لزوم للمزيد من الشرح، إذ إن معظم العائلات اللبنانية اختبرتْ وعانت هذه التجربة، وبات الجدود، ولكي يَنعموا بمشاهدة وجوه الأحفاد، باتوا يسافرون في كل الاتجاهات، ولا فرق بين غنيّ وفقير.

وكانت صورةُ جدّين التقيتُهما قبل ثلاثة عقود، في مطار نيويورك وهما يتنقلان بين أيدي المضيفات تائهَيْن، ضائعَيْن ما أوحى إليّ بكتابة روايتي **الإقلاع عكس الزمن** والتي تروي عن الاغتراب، خصوصاً اغتراب المسنّين القرامي، حين لا يعود رجوعُ أولادهم ممكنا، بل ومستحيلاً في بعض الأحوال.

❖ ❖ ❖

ولكن، هل نأتْ صورةُ الجدّين، عن الحضور في العائلة، في المجتمع المعاصر؟...

نعم، وبحكم تحوُّل شروط العمل والعيش، وبفضل اقتباسنا أسلوب الحياة الغربية، ومن بعض ما اقتبسنا، حضانات الاطفال، ومنذ الأشهر الأولى، لأن المرأة العصرية في لبنان، أسوةً بالغربية، خرجت إلى العمل، ولا بدّ من اعتماد الأساليب الحديثة لتسهيل أمورها، وخصوصاً في المدن.

وقد لفتني ما قرأتُهُ مؤخراً عن الرّدة التي حدثتْ في أميركا، خصوصاً في حضانات الأطفال إياها، إذ بدأ المسؤولون عن التربية في تلك السن المبكرة، يستدعون الجدود للمساعدة في رعاية الأطفال، وليسوا بالضرورة أحفادهم.

وإذْ أورد ذلك، فعلى سبيل التأمل في دائرة الزمن ومسار الأيام، وكي لا نقف مبهورين أمام عواصف العولمة، وهي تجرف ما بقي لنا من قيم تُميّزنا، وعادات حفظتْ لنا شخصيتنا وميّزات عيشنا.

وهنا يحضرني الالتزام العصري بسن التقاعد وتحديدها في مرحلة يكون المرء قد بلغ عندها أوج النضج واكتناز المعرفة والخبرة. وهذه العلّة أكثر ما تصيب الرجال، خصوصاً في مجتمعاتنا، إذْ لا تكون هناك مساواةٌ بين تربية الفتى والفتاة، فتتعلم هي الطبخ، وشتّى الفنون، بينما يمضي هو في سبيله المتوحّد، باتجاه المهنة أو الوظيفة، أو أي عمل يصل به إلى ذلك الجدار المسدود، فيتقاعد، بينما تعود المرأة من رحلتها الوظيفية ذاتها، لتجد بانتظارها، في البيت، وظائف متعدّدة، ومؤجّلة، فلا تعود تواجه تلك المعاناة التي يسميها بعضهم، من باب السخرية، مُتْ قاعداً.

لذلك أدعوكم، سادتي الرجال، وقبل فوات الأوان، لكي «تَلحَقوا حالَكُم» وتطلبوا المساواة الكاملة بالنساء، ربّاتِ البيوت، والطبخ، وتربية الأولاد، وسيدات الفنون والحرف اليدوية من تطريز أو خياطة أو ما شابه ذلك

من الهوايات التي تحفظ للمرء الحيويةِ والنشاط، إذْ لا شيء يمدّنا بتجدّد العافية والرغبة في العيش مثل تحقيق الذات عن طريق الإنتاج والعطاء.

❖ ❖ ❖

وأعود إلى تلك العبارة التي اختصرتْ بها صديقتي الأحوال في قريتنا، بل قرانا، وهي تطابق ما يطالعنا في الصحف، من أحوال البؤس والإهمال اللاحق بالمسنين فيها. وكان آخر ما قرأت في صحيفة النهار عن قرية «عين درافيل» البالغ عدد سكانها بضع عشرات، وبينهم خمسة عشر مسناً يصفهم كاتب المقال بأن لا وسيلة لديهم إلاّ دابة وحيدة يؤمّنون بواسطتها مياه الشفة. وإذا أصيبَ احدهم بعارضٍ صحّيّ عليهم أن يذهبوا مشياً إلى بلدة عبيه.

هزني المقال، إذ لا يشبه في أيّ وجه من وجوهه الصورة التي رسمها الفنان «مصطفى فروخ» لقرويّ مسن، ينعم بجلسة مريحة الى جانب عرمة القمح، على بيادر الغلّة، وقد توهّجت عيناه بأشعة الرضا والحبور.

❖ ❖ ❖

غنيٌّ عن التنويه أن كلمتي هذه ليست سوى نداء من القلب للتعبير عن تقديري لهذه اللفتة المهمّة إلى مجتمع الكبار، بينما تغتني الورشة بالأبحاث والدراسات الاكاديمية. وهي لا تتوقف عند إيقاظ الوعي وإثارة الاهتمام بمجتمع الكبار، وحسب، بل تتوخّى الوصول إلى حلّ الكثير من مشاكلهم، وتلبية حاجاتهم، وجعل محيطهم أنيسا، وصديقا، يَغنى بحضورهم من دون تأفّفٍ أو شكوى.

أما أنا فقد قرّرت، من زمان، أن لا أدخل مجتمعَ المسنين، بل تركتُ تلك الفتاة المولودة بحسب تاريخ مُعيَّن، من شهر كذا وسنة كذا، كما هو مدوّن في تذكرة هويتها، تركتُها وحدَها تكبر، وتتقدم في السن... وتتلقى ما يخطّ الزمن من غضون فوق وجنتيها وحول عينيها... وتركتُها كذلك، تدخل مصحّاتِ العلاج، تقاوم المرض، والضعف، لأمضي بمحاذاتها الى استقبال إشراق الأيام يوماً بعد يوم، ولا أتوقف لأعدّها،... وأستخدم الدقائق واللحظات كي أواصل نشاطي المعتاد، وتَواصُلي مع الكون ومخلوقاته، مثلما يفعل الأطفال عندما يفتحون أعينهم على الوجود،

وحين يقتربُ مني أحفادي ويناودونني بالاسم المألوف: تاتا، أدعوها هي، كي تُلبّي النداء. أما أنا، فأمضي معهم في اللعب والغناء والمرح، ذلك أن الطفلة لا تزال مقيمة في ذاتي، وتوحي إليّ الكتابة للصغار والكبار، لأنها لا تزال محتفظة بما ادّخرتُه من ذلك الخزان الأول، القديم، وهي التي تردّني باتجاه النور كلما أظلمت الدنيا في عيني... ولذلك كلّه اخترتُ صحبتها لتدبّرَ تلك الأخرى، المدوّن عمرُها بالسنين على تذكرة الهوية، أمورَها وحدها... فأنا لي الأمل، هويّة عملي، وثمارُه، ولي تطلّعي أبداً إلى ما هو خلف جدار الزمن والأبواب الضيِّقة وأرقام السنين، فقد اخترتُ الحياة الرحبة، وعطاءاتها.

إملي نصرالله

إملي نصرالله

روائية – صحافية – وعملت في التدريس.

لها عدة اعمال منشورة من روايات، مجموعة قصص، مؤلفات للاولاد وغيرذلك...

كما لها عدة اعمال مترجمة الى اكثر من لغة اجنبية؛ الانكليزية والالمانية والدانماركية والتايلندية والايطالية والفلندية والهولندية.

جوائز وتقدير:

- جائزة اصدقاءالكتاب – لبنان.
- جائزة الشاعرسعيد عقل – لبنان.
- جائزة مجلة فيروز– لبنان.
- جائزة جبران خليل جبران – من رابطة التراث العربي في اوستراليا.
- اقرار مؤلفاتها مادة الزامية لشهادات الماجستير والدكتوراه، جامعة القديس يوسف – بيروت.
- جائزة مؤسسة IBBY العالمية لكتب الاولاد على رواية يوميات هر.
- جائزة سعيد عقل على «كلمة ملكة».

وهناك عدة دراسات وابحاث اجريت عنها.

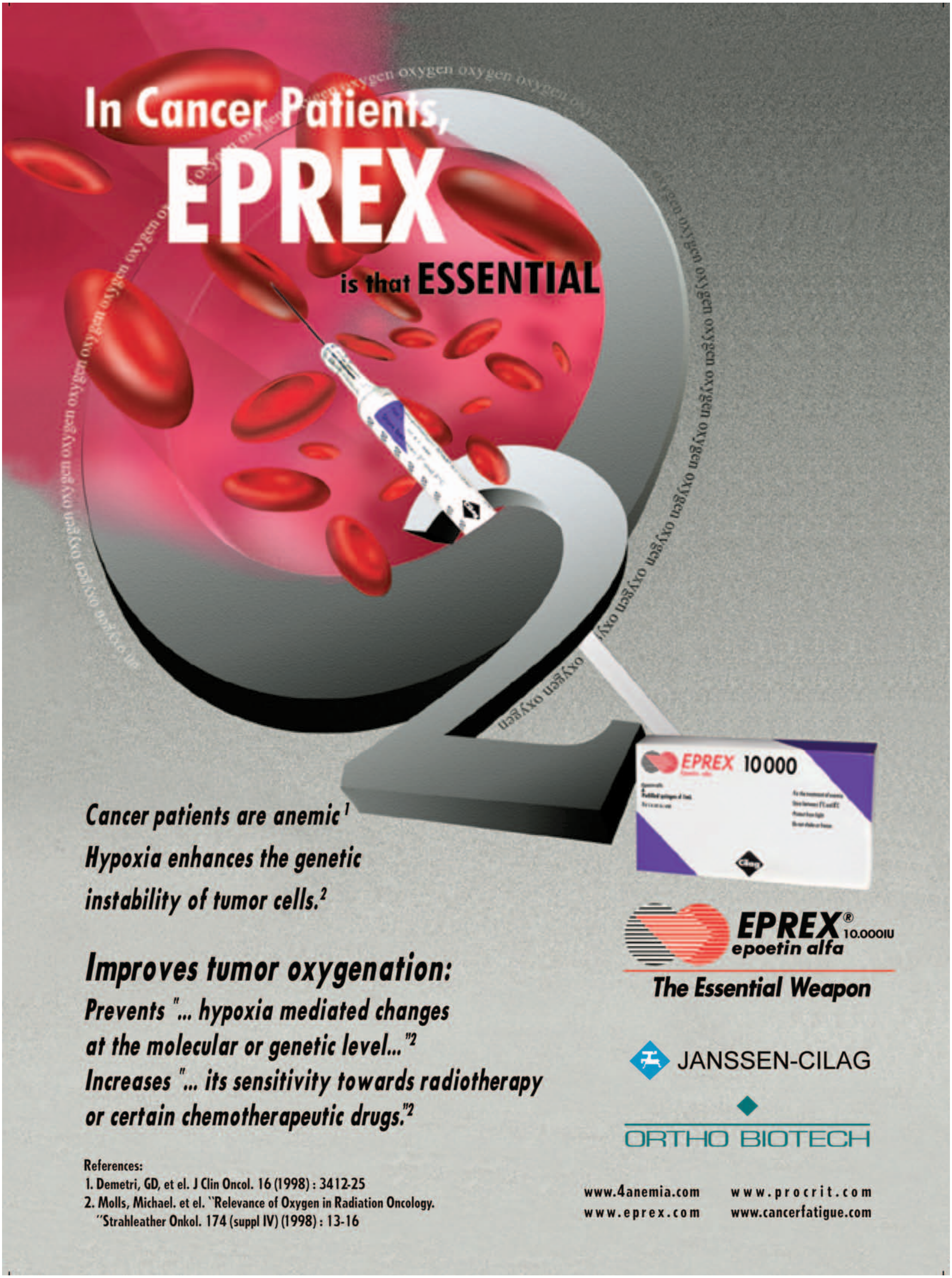
In Cancer Patients,
EPREX
is that ESSENTIAL
oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen oxygen
EPREX 10000
Cancer patients are anemic [1]
Hypoxia enhances the genetic
instability of tumor cells.[2]
Improves tumor oxygenation:
Prevents "... hypoxia mediated changes
at the molecular or genetic level..."[2]
Increases "... its sensitivity towards radiotherapy
or certain chemotherapeutic drugs."[2]
EPREX® 10.000IU
epoetin alfa
The Essential Weapon
JANSSEN-CILAG
ORTHO BIOTECH
References:
1. Demetri, GD, et el. J Clin Oncol. 16 (1998) : 3412-25
2. Molls, Michael. et el. "Relevance of Oxygen in Radiation Oncology.
"Strahleather Onkol. 174 (suppl IV) (1998) : 13-16
www.4anemia.com
www.eprex.com
www.procrit.com
www.cancerfatigue.com